الحمدُ لله وعدَ ببلوغِ دينِه مبلغَ النهارِ والليل، وتكفَّل بحفظِ شريعتِه عن كلِّ تحريفٍ ومَيل، أشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه إمامُ الدُّعاة، وسيِّدُ الهُداة ، صلَّى الله وبارَك عليه، وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: فأوصيكم ونفسي بتقوى الله (وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ )

عباد الله :لنقف مع شيء من آيَاتِ الحج ، نتزود شيئا من حكمه وأحكامه .

إلا أن الناظر في تلكم الآيات ليَجَدَ في سياقها الحج , التَّوْحِيدِ؛ وتَرْسِيخ أصوله . وهذه أولى الآيات لنقف معها فالتوحيد أساس بناء البيت العتيق، والهدف من بنائه ودعوة الناس للوفود إليه، كذلك أوحى الله لخليله إبراهيم عليه السلام وكذلك سار على خطاه محمدٌ عليه الصلاة والسلام: (وَإِذْ بَوَّأْنَا لإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لا تُشْرِكْ بِي شَيْئاً وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ) فشعيرة الحج مظهر من مظاهر توحيد الله تعالى، ونبذ الشرك والوثنية؛ والحج في أعماله وشعائره مبنيٌ على توحيد الله تعالى وطاعته؛ فلو رأيت جموع الحجيج في المشاعر ، قد ضجت بهم بطاح مكة فماذا يريدون؟ وغبرت بهم فجاج عرفات فما الذي يطلبون؟! بلباس واحد؛ غنيهم وفقيرهم، شريفهم ووضيعهم؟

تأمل عبد الله : أذكار الحج تجد فيها من توحيد الله تعالى وتعظيمه وإجلاله ما يعلق القلوب به سبحانه وحده

لا شريك له، ففي كل منْسَكٍ ذكرٌ ودعاءٌ، من بداية التلبس

بالإحرام إلى وداع المسجد الحرام.

كانت تلبيته صلى الله عليه وسلم هي إهلال بالتوحيد كما قال جابر رضي الله عنه وهو يحكي حجة النبي صلى الله عليه وسلم ويصف حالهم معه: "وما عَمِلَ بِهِ من شَيْءٍ عَمِلْنَا بِهِ فَأَهَلَّ بِالتَّوْحِيدِ: لَبَّيْكَ اللهم لَبَّيْكَ ... الخ .

والذي هو مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ ؛ فمَكَانَ الْحَجِّ وَمَشَاعِرَهُ إِنَّمَا أُسِّسَتْ عَلَى التَّوْحِيدِ مِنْ قِبَلِ ْإِمَامِ الْحَنِيفِية إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ (وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ )

الآية الثانية : ففي هذه الأيام تشرئب أعناق المسلمين في

مشارق المعمورة شوقا لزيارة بيت الله المحرم استجابة لذلك الدعاء: (فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ) ، ألا ترون الناس تحنّ قلوبهم للطواف به، لا يروون منه أبدًا، حتى في صلاتهم يتوجهون إليه، كأن صلتهم بربهم موصولة به.

أما الآية الثالثة : فيقول جل وعلا :( إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين )الحج عبادة الأنبياء كلهم أجمعين ، روى ابن إسحاق في السيرة والبيهقي عن عروة بن الزبير أنه قال : ما من نبي إلا وقد حج البيت إلا ما كان من هود وصالح ثم ذكر سبب ذلك .

عباد الله : أما الآية الرابعة فجاءت في ذكر أن الحج هو أذان ونداء أبينا إبراهيم -عليه الصلاة والسلام-،أمره الله بأنْ يُؤذّن في النّاس بالحجّ، قال -تعالى-: (وَأَذّن فِى النَّاسِ بِالْحَجّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلّ

فَجّ عَميِقٍ).

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية الكريمة: "قوله: (وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ)، أي: نادِ في الناس داعيا لهم إلى الحج إلى هذا البيت الذي أمرناك ببنائه. وقوله: (يَأْتُوكَ) المراد: يأتوا بيتك، (رِجَالاً) أي: مشاة، (وعلى كُلّ ضَامِرٍ) وركبانا على كل بعير مهزول أتعبه بُعد الشُّقة ( يَأْتِينَ مِن كُلّ فَجّ) أي: طريق (عَميِقٍ) أي: بعيد".

وخامس تلكم الآيات قوله عزَّ وجل: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ فالحج كغيره من العبادات لا يجب إلا بشروط؛ لأن الله بحكمته جعل للأعمال شروطًا؛ لتنضبط الفرائض وتتَّحدّد المسؤولية، ومن هذه الأعمال والفرائض: الحج، فله شروط لا يجب على المسلم إلا بها، فمنها: البلوغ .

وإن من شروط الحج: أن يكون الإنسان مستطيعًا بِماله وبدنه؛ لأن الله تعالى شرط ذلك للوجوب في قوله:﴿مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾، فمَن لم يكن مستطيعًا فلا حج عليه، فالاستطاعة بالمال: أن يملك الإنسان ما يكفي لحجه زائدًا عن حوائج بيته وعمّا يحتاجه من نفقة وكسوة له ولعياله وأجرة سكن، وعن قضاء الديون الحالَّة، فمَن كان عنده مال يحتاجه لِمَا ذُكِر لم يجب عليه الحج، ومَن كان عليه دَيْن حالٌّ لم يجب عليه الحج حتى يوفيه، بخلاف ما إذا كان الدَّين مؤجّلاً وكان الإنسان يمكنه أن يوفي الدَّين كلّما حلَّ أجَّلَ وكان بيده عند وقت الحج ما يمكن أن يحج به وهو واثق من قضاء الدَّين كلّما حلَّ فإنه لا حرج عليه أن يحج حينئذٍ؛ أما الاستطاعة بالبدن فهي: أن يكون الإنسان قادرًا على الوصول بنفسه إلى البيت؛ أي: إلى مكة بدون مشقّة، فإن كان لا يستطيع الوصول إلى البيت أو يستطيع الوصول ولكن بمشقة شديدة كالمريض فإن العلماء قسَّموا ذلك إلى قسمين: الأول: أن يكون الإنسان مريضًا مرضًا يُرجى زواله فهذا ينتظر حتى يشفيه الله ثم يحج بنفسه، فإن مات حُجَّ عنه مَن تركته، وإن كان لا يرجو الاستطاعة في المستقبل كالكبير والمريض

الذي أُيِسَ من برئه فإنه يوكِّل مَن يحج عنه من أقاربه أو

غيرهم، فإن مات قبل التوكيل حُجَّ عنه من تركته .

ومن الاستطاعة: أن يكون للمرأة مَحرَم، فليس عليها حج إذا لم يكن لها مَحرَم؛ لأنها لا تستطيع السبيل إلى الحج؛ حيث إنها ممنوعة من الحج شرعًا؛ لأن السفر - أعني: سفر المرأة بدون مَحرم - محرّمٌ شرعًا .

أسأل الله أن ييسِّر الحجَّ لكلِّ مسلمٍ، ويهوِّن عليه مَشاقه

أقول ما سمعتم واستغفر الله لي ولكم .

الخطبة الثانية :

الحمدُ لله حمدًا كثيرًا طيِّبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضى، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الحمد في الآخرة والأولى، وأشهدُ أن محمدًا عبده ورسوله المصطفى وخليله المجتبى، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومَن بهداهم اهتدى، وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: الوقفة الأخيرة فمع تمام الآية السابقة ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾

فمَن وجب عليه الحج بتوفر الشروط السابقة وترَكَه تهاونًا وكسلاً فإنه على خطر؛ لأن الله تعالى قال بعد إيجابه على الناس:﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ قال الشيخ ابن عثيمين : وهذه إشارة إلى أن مَن لم يحج فإنه كافر؛ ولهذا اختلف العلماء - رحمهم الله - هل يكفر مَن ترك الحج بغير عذر، ولكنّ أكثر أهل العلم وهو القول الراجح أنه لا يكفر ولكنه على خطر، فكيف تطيب نفس المؤمن أن يترك الحج مع قدرته عليه بِماله وبدنه وهو يعلم أنه من فرائض الإسلام وأركانه !

فاتَّقوا الله - عباد الله - وبادروا بأداء الحج إذا تَمَّت شروط الوجوب، ومَن لم يحج مع تمام شروط الوجوب فقد قال ابن القيم رحمه الله: مَن ترك الحج عمْدًا مع القدرة عليه حتى مات أو ترك الزكاة فلم يُخرجها حتى مات فإن مقتضى الدليل وقواعد الشرع أن فعلهما بعد موته لا يُبرئ ذمته ولا يُقبل منه، قال: والحقُّ أحقُّ أن يتبع؛ يعني: أن حج ورثته عنه لا تبرأ بذلك ذمّته؛ لأنه ترك الواجب عليه مفرطا، وكذلك مَن ترك الزكاة فلم يخرجها تهاونًا حتى مات فإنه إذا أُخرجت من تركته لا تبرأ بها ذمته؛ لأن الفعل في الحقيقة فعل غيره، أما هو فقد عزَم ألا أن يؤدّيها، وهذا الذي قاله ابن القيم قولٌّ قويٌّ جدًّا .

وفقنا الله لحج بيته ، ويسر للحجاج حجهم ، وأدام له أمنهم ، وكفاهم شر الأشرار ،اللهم من أرادَ بلادَ الحرمين بسُوءٍ فاجعَل تدبيرَه تدميرًا عليه يا قويُّ يا عزيزُ، يا ذا الجلالِ والإكرام.

اللهم أصلِح أحوالَ المسلمين في كلِّ مكان، اللهم أصلِح أحوالَهم في كل مكانٍ، اللهم اجمعهم على الحقِّ والهدى، اللهم احقِنْ دماءَهم، وآمِن رَوعَاتهم، وسُدَّ خلَّتَهم، وأطعِم جائِعَهم، واحفَظ أعراضَهم، واربِط على قلوبهم، وثبِّت أقدامَهم، وانصُرهم على من بغَى عليهم.

اللهم أبرِم لهذه الأمة أمرَ رُشدٍ يُعزُّ فيه أهلُ طاعتِك، ويُهدَى فيه أهلُ معصيتِك، ويُؤمرُ فيه بالمعروف، ويُنهَى عن المُنكَر يا رب العالمين.

اللَّهُمَّ احْمِ حَوْزَةَ الدْينِ ! اَللَّهُمَّ أَصْلِحْ شَأْنَ المسْلِمِينَ، وَوَلِّ عَلَيْهِمْ خِيَارَهُمْ وَاكْفِهِمْ شَرَّ شِرَارِهِمْ، اللَّهُمَّ أَصْلِحْ وُلَاةَ أَمْرِنَا وَاهْدِهِمْ سُبُلَ السَّلَامِ، اللَّهُمَّ اجْمَعْ كَلِمَتَهَمْ عَلَى الحَقِّ يَا رَبَّ العَالَمِينَ.

وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَى نبيِّنَا محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعينَ .